الفصل السادس والثلاثون

الثالثة ثابتة

الأول، والتاسع عشر، والحادي والعشرون من كانون الأول عام ٢٠٠٩م

نعم، لقد حان دوره هذه المرّة. ينطبق على هذه الحالة مقولة «الثالثة ثابتة»؛ فبعدما حلّ ثالثًا عام 2007م، وثانيًا عام 2008م، فاز ليونيل أندرياس ميسي بالكرة الذهبية التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول لموسم عام 2009م. جاء هذا الفوز بعد تغلّبه على منافسيه بفارق كبير؛ فقد حصل على (473) نقطة من أصل (480) ممكنة؛ أي أكثر من ضعف ما حصل عليه كريستيانو رونالدو الذي حلّ ثانيًا بعد حصوله على (233) نقطة. في حين احتلّ تشافي هيرنانديز المركز الثالث بحصوله على (173) نقطة.

صوَّت لميسي (90) شخصًا من أصل (95)؛ أي ما نسبته 56, 98٪ من عدد النقاط الممنوحة، وهو رقم لم يحظَ به أحد طوال (54) عامًا منذ منح الجائزة المميَّزة؛ أمّا الأقرب فكان ميشيل بلاتيني الذي حصل على نسبة 46, 98٪ عام 1984م؛ إنّه نصر مظفَّر. هناك ثلاثة، وهذه أسباب نجاح ميسي التي ذكرها المحرِّر المسؤول في المجلة دينيس شومبير:

1 - نجاح ميسي في العروض التي قدَّمها؛ المراوغات والتسارع، والجهد الذي

obeikandi.com

يبذله لخلخلة الخصوم، ومهاراته، وروحه الخلّاقة، وتعاونه مع الفريق، إلى جانب الأهداف التي سجّلها، كلّ ذلك أسهم في ترك أثر عميق في أثناء العام. ما زال تأثيره في كرة القدم غير كامل. ولكن، ما يذهلني هو المتعة التي يصنعها حضوره في الملعب، وهي متعة مشابهة لما كان يفعله مارادونا.

2 - تذكُّر أنّ ميسي نافس على الجائزة مرّات عدّة على الرغم من صغر سنّه. ومن الواضح أنّ كرة القدم الحديثة لن تمنح أسمى التكريمات لمجرّد طفرة، حتى لو كانت الحالة خاصة بشخص متميِّز مثل ميسي.

3 - تتويج ميسي بلقب دوري الأبطال والدوري الإسباني مع برشلونة، فضلًا عن فوزه بلقبي كأس الملك وكأس السوبر الأوروبي، وقيادته المنتخب الأرجنتيني للتأهّل إلى نهائيات بطولة كأس العالَم. من الصعب تخيُّل سلسلة أكثر روعة من تلك الإنجازات.

الكلّ متفق على ما حقَّقه ميسي من ألقاب، وأداء راقٍ، ومهارة في مسيرته الاحترافية. لقد انحنى جميع الصحافيين المشاركين في لجنة التصويت العالمية التابعة لمجلة فرانس فوتبول أمام البرغوث. وأخذ المديح ينهال عليه من بقاع العالم شتّى؛ من اليابان إلى آيسلندا، ومن غانا إلى نيوزيلندة، ومن كازاخستان إلى إنجلترا.

يصف الصحافي في جريدة ديلي تيليغراف هنري وينتر أسباب تصويته لميسي، في مقال كتبه في مجلة فرانس فوتبول، قائلًا:

«ميسي؟ إنّه العبقرية بأبهى صورها. لديه علاقة خاصة بالكرة. إنّه يصنع الأهداف ويسجِّلها، ويلعب من دون كلل لمصلحة الفريق. عند رؤيته يلعب، تكون شاهدًا على منظر بديع مسخَّر لخدمة كرة القدم».

إنّها الساعة السابعة صباحًا من يوم الإثنين الموافق للثلاثين من شهر

obeikandl.com

تشريـن الثاني عام 2009م، يطرق مندوب مجلة فرانس فوتبول باب (الشاليه) الذي يسكنه ميسـي في كاستيلديفيلز، حاملًا معه الأنباء السارة. انتظر ميسي هـذا الخبر بفارغ الصبر والشوق، وبجانبه صديقته أنتونيلا، وشقيقه رودريغو، وابنـه، وابنته. وقـد ردَّ على حامل النبأ بابتسامته الخجولـة المعهودة، لكنّه لم يستطع إخفاء بريق عينيه.

جـاء الإعـلان عن الفـوز بالجائزة فـي نهايـة أسبـوع رائع؛ سـواء لليو، أو البارسا. فقد حقَّق البلاوغرانا يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر تشرين الثانـي، بفضل بيكيـه وبيدرو، «نصرًا مهمًّا فـي دوري الأبطال على الإنتر الذي يدرِّبه جوزيه مورينيو في مباراة معقّدة» بحسب صحيفة إل باييس.

كانـت مهمة رجال غواردیولا فـي الوصول إلى دور الستة عشر عويصة حتى تلـك اللحظة، لكنّها الآن أصبحت أقلّ صعوبة. لم يتمكّن ميسي من المشاركة في تلك المباراة بسبب إصابة عضلية ألمَّت به في المباراة الأخيرة من الدوري، التي واجه فيها البارسا أتليتيكو بلباو على ملعب سان ماميس، لكنّه شارك في التشكيلة الأساسيـة للفريق في مباراتـه التي خاضها أمام ريال مدريـد بقيادة كريستيانو رونالـدو، في التاسع والعشريـن من شهر تشرين الثاني. كانت هذه المواجهة هي الرابعة بيـن النجميْنِ. وقد أظهر البرتغالي الذي غـاب عن المنافسات خمسين يومًـا أداءً رائعًـا في الست والستين دقيقة التي لعبها. ومـع أنّه تولّى قيادة هجوم الريـال، لكنـه أهدر أخطر الفرص على فريقه. تمكَّـن فالديز من صَدِّ تسديداته لتصبـح تلك المباراة رابعـة المباريات التي يفشل فيها بهزّ شبـاك البارسا. أمّا ميسـي فقـد كان غائبًا تمامًا في الشـوط الأول؛ إذ لم يستطع صنـع الأهداف أو تسجيلهـا، وكانـت إسهاماته غيـر فاعلة بتاتًـا. ومع أنّه كان يلعـب خلف خطوط المهاجمينَ، لكنه لم يَظهر بحرفيته المعهودة. ولكن، في الشوط الثاني، وبعد أن وضع إبراهيموفيتش البارسا في المقدّمة بتسديدة لا تُردّ من قدمه اليسرى، وبعد

حصول بوسكيتس على بطاقة حمراء؛ لمع نجم البرغوث من جديد. فأخذ يستلم التمريرات، ويصنع اللعب، واضِعًا الدفاع المدريدي في موقف حرج، وساعد على عـزل هجومهم، وقدّم كثيرًا من المهـارات الفائقة. لقد أسهم ميسي أيّما إسهام في وقت كان الفريق في حاجة ماسة إليه. فأوشك عند الدقيقة الثامنة والثمانين أن يضاعـف النتيجـة لتصبح (0-2)، بعدما مرّر إليه ألفيش الكرة من الميمنة تاركًا إيّاه في مواجهة مع كاسياس الذي أنقذ الموقف ببراعة.

ضاعـت فرحة ميسـي بعدما تعذّر عليـه تسجيل هدفـه الثامن في مرمى الحارس المدريـدي - آخر هدف سجّلـه كان بركلة جزاء في المبـاراة الودّية التـي جمعت إسبانيـا بالأرجنتين يـوم الرابع عشـر من شهر تشريـن الثاني- ولكـن، وكما صرَّح في المقابلة التـي أعقبت المباراة، فإنّ الأمر «لم يُقدَّر له أن يحدث، بسبب التصدي الرائع الذي قام به كاسياس. المهم أنّ البارسا فاز في المبـاراة». ثمّ أخـذ يجيب عن الأسئلة المتعلّقة بالكـرة الذهبية، قائلًا: «فكتور فالديـز هو مَن استحق الكرة الذهبية هذه الأمسية. لقد أنقذنا». قد يكون ذلك صحيحًـا، لكنّ ليو كسب أيضًا في المواجهة الثنائية التي جمعته بصاحب الكرة الذهبية لعام 2008م؛ كريستيانو رونالدو. وقد شكَّلت هذه المباراة فرصة مثالية لتسليم عرش إمبراطورية الكرة.

وعلى أيّ حال، فقد كان هناك أكثر من سبب للاحتفال في يوم الإثنين هذا بكاستيلديفيلز. ظهر ميسي، وهو يرتدي قميصًا ثقيلًا مُوشًّى باللونين: الأخضر والأبيض، ثمّ انضم إلى عائلته وضيوفه من مجلة فرانس فوتبول، الذين أخذوا يشربـون نخـب الفتى الذي واجه صعوبـة في النمو، ثمّ انضـم إلى عظماء كرة القـدم. وقد تسنّى له بعد ذلك تصفُّح المجلة التـي خُصِّص غلافها - إضافة

إلى (43) صفحة من صفحاتها- للحديث عن «ملك كرة القدم الشاب».

شهد اليوم اللاحق مزيدًا من الصفحات الأولى المخصّصة لميسي، فضلًا عن المقابلات الكثيرة، والمؤتمر الصحفي الضخم.

لقد حان الآن الوقت المناسب لرَدّة الفعل والمصارحة والإهداءات. لذا، فقد صرَّح ميسي في قاعة المؤتمرات بكامب نو، قائلًا: «لا أخفي عليكم، كان لديَّ شعور أنّني سأحصل عليها هذا العام. لكن، ما فاجأني هو فارق الأصوات الكبير. إنّ الفوز بالجائزة شرف عظيم، شيء رائع ولا يُضاهى، لكنّني لم أكن مهوَّسًا بالفوز. كنت أعلم أنّها ستأتي إذا كان مقدَّرًا لها ذلك. وكنت سأواصل العمل بجدّ كالمعتاد، في حال خسارتي الجائزة». يسأله أحدهم عن شعوره بوصفه أول أرجنتيني يفوز بالجائزة، فيجيب: «إنّه شرف عظيم. فقد كان دييغو (مارادونا) - بطبيعة الحال - سيفوز بها أكثر من مرّة لو طُبِّقت القوانين الجديدة في زمنه. لا تنسَ أيضًا أنّ دي ستيفانو وسيفوري فازا بالجائزة، ولو كانا من بلدان أُخرى». (يُذكَر أنّ مَنْحَ أحد اللاعبينَ بأوروبا الكرةَ الذهبية، كان محصورًا في الجنسيات الأوروبية حتى عام 1995م، حين أصبحت تُمنَح للاعبي الأندية الأوروبية بصرف النظر عن جنسياتهم. وقد فاز بالجائزة ألفريدو دي ستيفانو المولود ببوينوس آيرس عامي 1957م و 1959م، الذي كان يحمل الجنسية الإسبانية، في حين فاز بها عمر سيفوري عام 1961م، الذي كان يحمل الجنسية الإيطالية، مع أنّه من مواليد مدينة سان نيكولاس الأرجنتينية).

ولأن انتماء ليو إلى البارسا لا يقلّ عن انتمائه إلى الأرجنتين، فإنّه لا ينسى ذكر أهمية الجائزة للفريق الذي يَعُدُّه بيته الثاني: «في واقع الأمر، فأنا أول لاعب من أكاديمية البارسا يفوز بهذه الجائزة، ويعمل على النهوض بمشروع البارسا، وأعتقد أنّها جائزة مهمة للنادي والعاملين فيه». بعد ذلك، أخذ ميسي

– كعادتـه – يقـدِّم الشكر لعائلته وزملائـه في الفريق، مُهدِيًـا الجائزة إليهم، حيـث قال مؤكِّدًا: «لم أكن لأفوز لولاهم». ثمّ أشـار إلى أنّه كان سيصوِّت لأحد زملائـه في الفريق لو كان مـن أعضاء اللجنة التي قامـت بالتصويت: «تشافي وانيستا يستحقان الجائزة أيضًا». ووجَّه شكرًا خاصًّا إلى بيب غواردیولا، بقوله: «لقد كان للمدرِّب دور فاعل في الحصول على الجائزة. أنا أعرفه مُذْ كان مدرِّبًا لفريـق البارسا (ب)، لكنّني لم أتواصل معه على نحـوٍ مباشر حينها. إنّه– في رأيـي– رجـل فَذّ ومُلِمّ بكرة القدم بصورة كبيـرة، ولديه قدرة على نقل معرفته إلى الآخرين بأفضل صورة ممكنة. إنّه مدرِّب إنسان يُلامِس في تعامله الجانبَ الإنسانـي لدى اللاعبينَ، لذلك فهو محبوب مـن الجميع. إنّ الألقاب التي فزنا بها كانت عاملًا رئيسًا في حصولي على هذه الجائزة».

وقـد رَدّ مدرِّب البارسا قائـلًا: «يستحق ليو الجائـزة؛ لأنّه ببساطة لاعب يتميَّـز بأدائه المختلف. إنّه يتحلّى بجميع الصفـات اللازمة للنجاح؛ فهو قوي، سريـع، يسجِّـل الأهداف، حتى بالرأس (لا يجرؤ أحـد على القول بخلاف ذلك بعد الهدف الذي سجّله في نهائي دوري الأبطال)، يفهم اللعبة، ويتصدَّر الأرقام القياسية جميعها. ما يُميِّز ليو هو تفكيره وروح التنافس لديه».

لـم يكن غواردیـولا الشخص الوحيد الذي كال لـه المديح؛ ففي الأول من شهر كانون الأول، بدأ العالَم أجمع الحديث عن «الفتى الذي أصبح أسطورة».

سيُتـوَّج ميسي بوصفه أفضل لاعب لكـرة القدم لعام 2009م، في السادس مـن شهـر كانـون الأول عـام 2009م، الساعـة الحادية عشـرة صباحًـا، لدى استضافتـه في برنامج تيليفوت الفرنسي الذي يُعنى بكرة القدم، حيث سيستلم الكـرة الذهبية من دينيـس شومبير شخصيًّا. ولكن، مـا زال يتعيّن على ميسي خوض مباراة أمام ديبورتيفو لا كورونيا على ملعب رياثور في اليوم الذي يسبق

الحفلـة. احتفل ميسي بفوزه بالجائزة بتسجيل هدفين، وتقديم مستوى متميِّز، تخلّله هتاف الجماهير الغفيرة: «ميسي، ميسي، ميسي!».

دخـل ميسي غرف تغييـر الملابس عند منتصف الليل بعـد الفوز بنتيجة (3-1)، ثـمّ استحم بسرعة، ليلحق بطائرة خاصـة تحمله إلى مطار باريس لو بورغي.

حطَّـت الطائرة فـي العاصمة الفرنسية عنـد الساعـة 3,15 صباحًا، ثمّ استقـل سيارة أخذته إلـى فندق جورج الخامـس الواقع في المنطقـة الثامنة. الساعـة الآن الرابعة صباحًا، لكـنّ النوم يجافي ميسي، حيـث أمضي ما تبقّى من الليلة يستمع إلى الموسيقا (دون عمر، ودي جيه فليكس تحديدًا)، ويشاهد التلفـاز، ويتجـاذب أطراف الحديث مـع شقيقيه رودريغو وماتياس، وشقيقته ماري سول.

بدأت رحلة النصر الباريسية عند الساعة 9,30 صباحًا، حيث أخذ ميسي يطـوف في شوارع المدينة، مرتديًا بزّة رسمية وربطة عنق، وواضعًا على مُحَيّاه بعض مساحيق التجميل، ثمّ يتوقّف عند برج إيفل هُنيهة قبل دخول إستوديوهات التلفزيـون، حيث استُقبِل هناك بالتحية والحفاوة من زميله السابق في البارسا ليليان تورام.

جلس ميسي أمام آلات التصوير، وأخذ يتلقّى التحية والتصفيق، ثمّ تسلَّم الجائزة. أعقب ذلك جلسة تصوير مع العائلة والأصدقاء ورئيس نادي برشلونة خـوان لابورتا، وأشخاص يمثِّلون النادي، ومجلة فرانس فوتبول، وقناة تي إف 1 التلفزيونية الفرنسية.

جابـت به السيارة الرسمية شوارع باريس مـرّة أُخرى، ثمّ قفلت به عائدة فـي اتجاه المقرّ الرئيس لقناة تـي إف 1 في منطقة بولونيا بلانكور. لكن، وقبل

أن يتمكّن ليو من تناول طعام الغداء في قاعة لويس الثالث عشر بفندق جورج الخامس والعودة بعدها إلى الديار، تعيَّن عليه تقديم مؤتمر صحفي أخير. وفيه، اعترف ليو الذي بدا جالسًا على كرسي من دون ظهر أو مسندَيْن، بأنّه كان على أحرّ من الجمر لاستلام الجائزة، ورفع الكرة الذهبية عاليًا؛ فالأيام الستة قد تبدو أطول في بعض الحالات. وفاجأ الحاضرين باعترافه: «أودّ الفوز بها مجدّدًا، سيكون رائعًا الفوز بالمزيد منها».

من الواضح أنّ ثقة الفتى بنفسه كبيرة، فلننتظر، ولنراقب إذن. في هذه الأثناء، يواجه البارسا بعض التحديات الأُخرى، أبرزها كيفية الوصول إلى دور الستة عشر من دوري الأبطال؛ إذ تنتظر رجال غواردیولا مباراة صعبة في كييف، حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، وما زال شيفيشنكو وفريقه يؤمنون بحظوظهم في التأهّل. صحيح أنّ هناك نتيجتين تصبّان في مصلحة البلاوغرانا؛ فإمّا التعادل، وإمّا الخسارة بفارق هدف، كلّ ذلك يعتمد على نتيجة مباراة الإنتر مع ضيفه روبن كازان، التي تقام في الوقت نفسه على ملعب جوسيبي مياتزا بميلان. لكنّ الهدف الرئيس هو التأهّل على رأس المجموعة؛ لتجنّب مواجهة الفرق الإنجليزية القوية: تشيلسي، ومانشستر يونايتد، وآرسنال. لذا، يُعلِنها غواردیولا صراحة: «لا نريد الخوض في سحابات معقّدة»، مطالِبًا فريقه باحترام أسلوب الفريق، واللعب للفوز فقط. لن يكون الأمر سهلًا؛ فدينامو كييف سجّل هدف التقدّم بعد دقيقتين على ملعب لوبانوفسكي نتيجة خطأ في الدفاع الكاتالوني. تتعقّد الأمور بصورة كبيرة؛ فكلّ ما يفصل بطل موسم 2008م–2009م عن الخروج من البطولة، هو تلقّي هدف ثانٍ. لكنّ البارسا يتماسك، ويحرم اللاعبينَ الأوكران من الكرة، إنّهم يضغطون من دون توقّف، حتى يتمكّنوا أولًا من تعديل النتيجة بفضل هدفٍ لتشافي، وتحقيق النصر فيما بعد.

يؤمّـن ليـو النصر بتسجيله هدفًـا رائعًا من ركلة حـرّة مباشرة. وكان قد تعرّض للكثير من اللعب الخشن الذي عمد إليه لاعبو دينامو، حتى إنّه تلقّى فرصة للتسجيل قبلًا، لكنّه لم يتمكّن من استغلال الهدية التي تلقّاها من شوفكوفسكي بعدمـا قام هذا الأخيـر بتشتيت الكرة على نحوٍ خطـأ، لينتهي المطاف بميسي فاقدًا أعصابه بعد الخشونة التي تعرّض لها في منطقة الجزاء. يحصل الفريق علـى ركلة حرّة مباشرة في الدقيقة السادسـة والثمانين، فيتقدّم البرغوث من الكـرة، ثـمّ ينفِّذها بأسلـوب راقٍ؛ تسديدة بالقدم اليسـرى تفجِّر المرمى. من المؤسـف أنّـه تعرَّض لعرقلة خلفية من أليميدا بعدهـا بأربع دقائق – تلك كانت المرّة التاسعة التي يتعرّض فيها للعِثار والاعتداء – ليسقط على الأرض مصابًا.

علَّق بيب غواردیولا – بعد انتهاء المباراة – على هذا الأمر، قائلًا: «لو كان لاعبًـا آخر لتراخى بعد الفـوز بالكرة الذهبية، لكنّ ليو يملـك روحًا تنافسية لا تُضاهى، إنّه يريد دائمًا تسجيل المزيد من الأهداف، وكثيرًا ما يُردِّد: «أريد أن أفعلها»، ثمّ يحاوِل مجدَّدًا كلّ مرّة».

أشار التقرير الطبي إلى إصابة ميسي بتمزّق من الدرجة الأولى في الكاحل الأيمـن؛ ما يعني عـدم قدرته على اللعب في مبـاراة الديربي أمـام إسبانيول، فضـلًا عن احتمال غيابه عن مباراة نصـف نهائي كأس العالَم للأندية المزمع إقامتها في أبو ظبي. وعلى الرغم من غياب ميسي عن مباراة الفريق في ملعب كامـب نو يوم الثانـي عشر من شهر كانـون الأول، إلّا أنّه تمكَّـن من استعراض الكـرة الذهبيـة أمام نحـو (84 ,554) متفرِّجًا كانوا حاضريـن هناك، وأعقب ذلك استلامه الجائزة من والدته سيليا.

يـا لها من لحظـة حُبلى بالعواطـف الجيّاشة التي خالطهـا تصفيق حادّ! إنّهـا اللحظة التي تسبق السفر إلى أبو ظبي، حيـث سيواجه البارسا في نصف

النهائـي يوم الأربعاء الموافق للسادس عشر من شهر كانون الأول نادي أتلانتي المكسيكي الفائز على نادي أوكلاند النيوزلندي (0-3) في دور ربع النهائي.

تُظهِر الصور واللقطات التلفزيونية القادمة من الإمارات العربية المتحدة ميسي وهو على شاطئ البحر، مرتديًا سروال سباحة أزرق اللون، ورابطًا كاحله بضمادة؛ إنّه يتمرّن من أجل العودة في الوقت المناسب.

انغمس ميسي وبقية لاعبي البارسا في المنافسة، وركّزوا أيّما تركيز على التدريبات الصارمة؛ استعدادًا للمواجهة القادمة أمام أتلانتي الذي يُعرَف فريقه بالفرقة الحديدية. تصبّ الترشيحات في مصلحة الفريق الكاتالوني الذي سيواجه منافسه بطل منطقة الكونكاكاف، لكنّ مشجعي البارسا لم ينسوا بعدُ النهائيَّيْنِ اللذيْنِ خسرهما الفريق عامي 1992م، و 2006م. يتعيّن على الفريق التهيؤ نفسيًّا منذ البداية. تلك كانت الخطّة، لكنّ الأمور لا تسير على ما يرام؛ إذ تأخّر البارسا في المباراة المقامة على ملعب مدينة زايد الرياضية بهدف بعد خمس دقائق فقط. ومع أنّ سيرخيو بوسكيتس عدَّل النتيجة في الدقيقة الخامسة والثلاثين، لكن البارسا لم يتمكّن من احتواء منافسه المكسيكي الذي دافَع جيدًا، واستغل الفرص القليلة التي سنحت له؛ فأخذ بالترنّح (البارسا)، وبدا أنّ المباراة على وشك أن تفلت من يده. لا يوجد خيار آخر سوى استدعاء ميسي. من المفترض ألّا يلعب هذا الأرجنتيني الجالس على مقاعد البدلاء إلّا عند الضرورة القصوى. لكنّ البارسا في موقف حرج؛ ما دفع غواردیولا إلى الزجّ به في الدقيقة الثالثة والخمسين.

صرَّح مدرِّب الفريق المكسيكي خوزيه كروز لاحقًا بالآتي: «عرفت أنّ ميسي سيشترك لحظة سماعي صرخات الجمهور. وعرفت أيضًا أنّ مشاركته ستقلب موازين المباراة. لكنّني لم أتوقّع أن ينجح في ذلك بتلك السرعة».

كلّ مـا احتاج إليه ليو لقلب المباراة وتغييـر النتيجة، كان دقيقة واحدة لا أكثـر. فقـد نجح الأرجنتيني فـي الهروب من الرقابة بالجـري القطري، وحين لمحـه إبراهيموفيتش التفّ حول نفسه، مُهدِيًا إليه تمريرة دقيقة في العمق. ثمّ تولّى البرغوث بقية الأمر؛ إذ سيطر على الكرة بإحكام، ثمّ راوغ حارس أتلانتي، واضِعًـا الكرة في المرمـى. فأصبحت النتيجة (1-2) مـن أول لمسة له، مُنهِيًا المقاومـة المكسيكيـة، وباعِثًا الروح في فريقه. بعد ذلـك، سجّل بيدرو الهدف الثالـث ليصبـح أول لاعب في التاريخ يسجِّل لناديه فـي ست منافسات مختلفة ضمـن موسم واحـد. والآن، يمكن للاعبـي البارسا تسلية الجمهـور باللمسات الفنيـة والتسديدات الراقيـة. تأتي الفرص واحدة تلو الأُخـرى؛ ما أتاح لميسي رفاهيـة إضاعة انفراده بالحارس الأرجنتيني فيلار الذي يعرفه (ميسي) جيدًا مـن منتخب الألبيسيليستي. أثبت ميسي مـرّة أُخرى أنّه المنقذ بلا منازِع. وقد شـرح خوزيـه كروز هذا الأمر علـى النحو الآتي: «برشلونة هـو أفضل فريق في العالَم من دون ميسي، فإذا لعب هذا الأخير، أصبح الفريق كأنّه قادم من مجرّة مختلفة». كلام يلخِّص الوضع برمّته.

لم يتبقَّ سوى النهائي المزمع إقامته في التاسع عشر من شهر كانون الأول؛ لـم يتبقَّ أمام البارسـا سوى نـادي إستوديانتس دي لا بلاتـا الأرجنتيني الذي أقصـى بـدوره نادي بوهانغ ستيلـرز الكوري بعد الفوز عليه فـي نصف النهائي بنتيجـة (1-2). إنّـه فريـق الساحـرة الصغيرة الذي يلعـب له خـوان سيباستيان فيـرون، الـذي كان مرشد ليـو خلال بطولة كوبـا أمريكا عـام 2007م؛ إنّه الرحّالة الـذي أضحى العنصر الرئيـس في الفريق، والذي يحلم بتكـرار إنجاز والده خوان رامون فيرون الملقَّب بالساحر، الذي قاد هجوم فريق إستوديانتس الملقّب بطاعني الجـرذان (اسم يُطلَق على الجزمـة ذات المقدّمة المستدقة)، عـام 1968م للفوز بكأس القارات، بعد هزيمة مانشستر يونايتد على ملعب أولد ترافورد.

إنّــه – ولا شكّ– حلم يوشــك أن يتحقّق على أرض الملعب، وسيستمر حتى الدقيقــة التاسعة والثمانيــن؛ أي المباراة بأكملها تقريبًــا. المعجزة على وشك أن تتحقَّــق. تقــدّم الفريــق الأرجنتيني بهدف عنــد نهاية الشــوط الأول تقريبًا (الدقيقــة السابعة والثلاثون تحديدًا)، من رأسيــة لبوزيلي الذي استغل الثغرة الموجــودة بين بويول وأبيدال، واضعًا عرضية ديــاز في المرمى. فريق البارسا في موقف لا يُحسَد عليه؛ إنّهم متأخِّرون بهدف، لم يسجّلوا أيّ هدف حتى الآن، ميســي تلقّى بطاقة صفراء، والأدهــى أنّ الفريق تائه، وعاجِز عن إيجاد ثغرات في منطقة الوسط، أو إتمام تمريرات حاسمة.

لقــد نجح ثلاثي الارتكاز في الفريــق الأرجنتيني في سَدّ المنافذ جميعها؛ فميســي لا يظهر، وهنري حاضر غائب، أمّــا إبراهيموفيتش فيقاتل. ولكن، من دون جدوى.

فــي المقابل، نجد فريــق إستوديانتس يتعامل مع الوضــع بأفضل ما لديه؛ قَتْل المبــاراة، والتصدي للكرات، ووأد محاولات لاعبــي البارسا باستخدام أيٍّ مــن الوسائل المتاحــة (ارتكاب الأخطــاء، التشتيت، ترك الكــرة تخرج خارج الملعــب، إجــراء التبديلات، بعض الــركلات)؛ كلّ ذلك لإضاعــة الوقت، وبلوغ الدقيقة التسعين للفوز بالكأس التي طالما حلموا بالفوز بها للمرّة الثانية.

يأبــى البارسا الاستسلام، مُظهِرًا كلّ ما لديه مــن قوة الشكيمة، ومحاوِلًا اختراق خطوط الدفاع مرّة تلو الأُخرى، إلى أن يتمكّن تشافي من رفع الكرة إلى داخــل منطقة الجزاء في الدقيقــة الأخيرة، فيتلقّاها بيكيــه، مرسِلًا إيّاها إلى بيدرو الذي يضعها في المرمى برأسه. لقد تمكّنوا أخيرًا من تعديل النتيجة. ثمّ يبــدأ الشوطان الإضافيان، والبارســا في حكم المنتصر؛ إنّه أمر يعرفه الفريق الأرجنتينــي جيــدًا. فالنظرة التــي تعلو وجوههــم توحي بذلــك، وإن طاقاتهم

(الفريق الأرجنتيني) قد استُنفِدت، وها هم أولاء يعجزون عن الوقوف في وجه ميسي الصغير الذي بدا كأنّه يلعب بملعب الحي، ثمّ سجّل هدفًا بصدره، بقلبه، بالشعار الذي على قميصه. فقد توقَّع حركة صديقه خوان سيباستيان، ثمّ حوَّل عرضية ألفيش عند الدقيقة المئة بطريقة لم يتوقّعها أحد.

ولكن، لماذا سدَّد بصدره لا برأسه؟ شرح ليو هذا الأمر في مقابلة مع صحيفة إل باييس في اليوم اللاحق: «أردت ضمان تسجيل الهدف. لاحظت أنّ الحارس لم يكن مستعدًّا. ارتأيت أنّه سيكون كافيًا وضعها بلطف، إلى جانب المساحة التي كان يحرسها. من حسن حظي أنّني نجحت».

يتكلم ببساطته المعتادة، وكالعادة أيضًا ينظر البرغوث إلى السماء، مُهدِيًا الهدف إلى جدّته سيليا، وشاكرًا الله على نعمه. تنطلق الاحتفالات بعد ذلك في معسكر البلاوغرانا، وتنهمر الدموع من عيني بيب غواردیولا الذي تغمره المشاعر للمرّة الأولى. ليو أول مَنْ يعانقه ويشكره، لكنّه لا ينسى خصومه. يذهب لمصافحة لاعبي إستوديانتس فردًا فردًا «لأنّهم لعبوا على نحوٍ رائع، ولأنّهم أرجنتينيون، ولأنّهم كانوا يشعرون بحزن عميق».

الثالثة ثابتة؛ فبعد الفشل في الفوز عامي 1992م، و 2006م، يفوز البارسا باللقب للمرّة الأولى في تاريخ النادي الممتد إلى مئة وعشرة أعوام. يُتوَّج الفريق ملكًا على العالَم. لم يسبق لأيّ فريق الفوز بستة ألقاب في موسم واحد. يعترف ميسي بذلك في حديث لصحيفة إل بيريوديكو، قائلًا: «لا أعتقد أنّنا استوعبنا إنجازنا بالكامل. سيكون صعبًا على أيّ فريق تحقيق ذلك، سنقدِّر الأمر تدريجيًّا مع مرور الوقت».

تـدرّج البارسـا ليصل إلـى قمّة العالَم، ووصـل ليو القمّة مـرّة أُخرى يوم الإثنين الموافق للحادي والعشرين من شهر كانون الثاني في مدينة زيوريخ التي تكسوها الثلوج.

بعد التاسعة مساءً بقليل، صعد رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم ميشيل بلاتينـي إلى المنصـة، برفقة رئيس الاتحاد الدولي لكـرة القدم جوزيف سيب بلاتـر. ألقى نظرة أخيرة علـى المرشّحين للفوز بالجائزة قبل أن يفتح المغلّف الذهبـي، ثمّ عرض مقطـع فيديو يُظهِر وجـوه كريستيانو رونالـدو، وأندرياس انيستا، وكاكا، وميسي، وتشافي.

يقول بلاتيني: إنّه فخور بأنّ المرشّحين كافة يلعبون في أندية أوروبية. ثمّ تأتـي أكثر اللحظات أهمية حيـن يُعلَن عن اسم الفائز: «أفضل لاعب في العالَم لعام 2009م هو ليونيل ميسي».

الثالثـة ثابتـة مرّة أُخـرى؛ فبعد حلولـه ثانيًا في عامـي 2007م، و 2008م، أصبـح ليو الرقـم واحد. ينهض لاعب البارسا صاحـب الرقم (10) من مقعده، وهو يُغلِق أزرار سترته من نوع إيرمينيغيلدو زينغا، مُعدِّلًا ربطة عنقه الزرقاء، ثمّ يصعد إلى المسرح. يسلِّمه ميشيل بلاتيني الجائزة، ثمّ يدعوه إلى إلقاء كلمة.

«عمتـم مسـاءً. أودّ بدايةً شكر جميـع اللاعبينَ الذين أجـروا التصويت. إنّـه لشـرف عظيم لـي أن مُنِحْتُ هذه الجائـزة التي فاز بها لاعبـون من أندية ومنتخبـات أُخـرى، ذلك أمر رائع جـدًّا. أودّ التقـدّم بالشكر إلـى زملائي في الفريـق (تُسلَّط الكاميرا في هذه اللحظة علـى انيستا)، ومشاركتهم الجائزة. هـذه نهاية مذهلة لعـام رائع قضاه نـادي برشلونة، وزملائي فـي الفريق، وأنا شخصيًّا. شكرًا جزيلًا لكم.

يتحدث ليو بصوت مرتجف، وابتسامة لم يسبق لها مثيل. لقد فاز، وبفارق كبير هذه المرّة أيضًا. فقد حصل على (1,073) نقطة؛ أي أكثر بثلاثة أضعاف

مـا حصـل عليه الثانـي كريستيانو رونالدو الـذي جمع (352) نقطـة، وتشافي الثالث (196)، وكاكا الرابع (190)، وانيستا الخامس (134). لقد منحه مدرّبو (147) دولة وقادتهم نصرًا ساحقًا.

يقول خورخـي ميسي المحاط بسيليا، وماتياسـ، ورودريغو، وماري سول: «إنّهـا لحظة لا تُقـدَّر بثمن. من المفهوم أن يفوز المـرء بجائزة، أو يحوز فريق مـا لقبًا، ولكـن، أن يفوز هؤلاء بكلّ شيء دفعة واحدة، إنّه المستحيل بعينه». ثمّ يضيف قائلًا: «إنّها نهاية مثالية لعام مثالي، من الصعب أن يحصل المرء على قدر أكبر من السعادة».

«كوكـب الأرض يستسلم عند قدمي ميسي»، عبـارة تصدّرت أحد عناوين الصحـف في اليوم اللاحق. ولكن، بقي على ليـو كسب قلوب أبناء شعب بعينه؛ أبناء وطنه الأرجنتين؛ لأنّهم «منزعجون من ألّا يكون «غارديل» في أثناء لعبه مع المنتخب الوطني». وإنّهم منزعجون؛ لأنّ نجمه لم يسطع مع الألبيسيليستي على الرغم من تأهّلهم الصعب إلى بطولة كأس العالَم في جنوب إفريقيا. «لأنّه يبدع مـع برشلونـة، ولكن ليس مع المنتخب». ذلك صحيـح؛ فهو متهم في الأرجنتين بعـدم حبّ أمّتـه كما ورد في مقال لديفيد غيستاو مـن صحيفة إل موندو: «كأنّ الأداء الضعيـف مع المنتخب سببه ضعف الطموح، وليس الترويج للاعب يملك فرصة أكبر لربح اليانصيب من تلقّي تمريرة جيدة. لقد فرض مارادونا نموذجًا يوائـم ميسي، لكنّه لا يناسب ميسي، اللاعب القـادم من عالَم آخر. أضف إلى ذلك أنّ مارادونا غادر الأرجنتين على جناح السرعة، كأنّه يحاول إحاطة نفسه بهالـة زائفة». يتعيّن عليهم إدراك أنّ سبـب المشكلة ليس ميسي، وإنّما الفريق المحيـط به. تعامِلـه الصحافة معاملة الغريـب، ويهاجِمـه محرّروها بعبارات لاذعـة، مثل: «ميسي ليس أرجنتينيًّا؛» لأنّه أعطـى كلّ ما لديه للبارسا، لأوروبا، ولـم يكتفِ بذلك، بل دمَّر حلـم إستوديانتس، الذي يُعَدّ حلم الشعب الأرجنتيني

فـي الوقت نفسـه. صحيح أنّ ميسي لديه مشكلة مـع الأرجنتينيين، أو بالأصح، الأرجنتينيـون لديهـم مشكلة مع ميسـي. يعي ليو هذا الأمـر، وتزعجه الأقاويل التـي تدعي أنّه لا يأبه بالمنتخـب الوطني. ولا شيء يزعجه أكثر من قولهم: إنّه ليس أرجنتينيًّا. يشرح هذا الأمر، قائلًا: «كيف لهم أن يعرفوا حقيقة شعوري؟». ولكن، يمكن حلّ الإشكال هذا العام في بطولة كأس العالَم. كلّ ما يحتاج إليه ليو هو القيام بما يتقنه بصورة أكبر.

obeikandl.com